تفسير إبن كثير

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ

وقوله تعالى : (بديع السماوات والأرض) أي : خالقهما على غير مثال سبق ، قال مجاهد والسدي : وهو مقتضى اللغة ، ومنه يقال للشيء المحدث : بدعة . كما جاء في الصحيح لمسلم : " فإن كل محدثة بدعة [وكل بدعة ضلالة] " . والبدعة على قسمين : تارة تكون بدعة شرعية ، كقوله : فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . وتارة تكون بدعة لغوية ، كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي االله عنه عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم : نعمت البدعة هذه .وقال ابن جرير : وبديع السماوات والأرض : مبدعهما . وإنما هو مفعل فصرف إلى فعيل ، كما صرف المؤلم إلى الأليم ، والمسمع إلى السميع . ومعنى المبدع : المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد .قال : ولذلك سمي المبتدع في الدين مبتدعا ; لإحداثه فيه ما لم يسبق إليه غيره ، وكذلك كل محدث فعلا أو قولا لم يتقدمه فيه متقدم ، فإن العرب تسميه مبتدعا . ومن ذلك قول أعشى ثعلبة ، في مدح هوذة بن علي الحنفي :يدعى إلى قول سادات الرجال إذا أبدوا له

الحزم أو ما شاءه ابتدعاأي : يحدث ما شاء .قال ابن جرير : فمعنى الكلام : فسبحان االله أنى يكون الله ولد ، وهو مالك ما في السماوات والأرض ، تشهد له جميعها بدلالتها عليه بالوحدانية ، وتقر له بالطاعة ، وهو بارئها وخالقها وموجدها من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه . وهذا إعلام من االله عباده أن ممن يشهد له بذلك المسيح ، الذي أضافوا إلى االله بنوته ، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السماوات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال ، هو الذي ابتدع المسيح عيسى من غير والد بقدرته .وهذا من ابن جرير ، رحمه االله ، كلام جيد وعبارة صحيحة .وقوله تعالى : (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه ، وأنه إذا قدر أمرا وأراد كونه ، فإنما يقول له : كن . أي : مرة واحدة ، فيكون ، أي : فيوجد على وفق ما أراد ، كما قال تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) [يس : 82] وقال تعالى : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [النحل : 40] وقال تعالى : (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) [القمر : 50] ، وقال الشاعر :إذا ما أراد االله أمرا فإنما يقول له كن قولة فيكونونبه تعالى بذلك أيضا على أن خلق عيسى بكلمة : كن ، فكان كما أمره

االله ، قال [االله] تعالى : (إن مثل عيسى عند االله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [آل عمران : 59] .